الدرس الخامس مقاييس اللغة لابن فارس

التعريف بصاحب المعجم:

هو العالم اللغوي أحمد بن فارس (ت395هـ) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب من أعلام اللغة والنحو والفقه والحديث في القرن الرابع الهجري. وقد وصلت شهرته في الآفاق و كذلك اشتهر بمؤلفاته في شتى صنوف المعرفة المتعلقة باللغة والأدب والفقه والحديث.

و اشُتهر ابن فارس كذلك أيضاً بآرائه اللغوية المتميزة في عصره؛ وعرف بكثرة مصنفاته فهو أول مؤلف لكتاب بعنوان(الصاحبي في فقه اللغة)وهو من الأعلام اللغويين الذين وضعوا أكثر من عمل معجمي، ومن أشهر المعجمات التي وضعها معجماه: المقاييس في اللغة، والمجمل في اللغة. وقد نال(المقاييس)شهرة واسعة لدى الدارسين قديماً وحديثاً. ولعل سبب شهرة هذا المعجم أنه وضع تطبيقاً لنظريتين عُرف بهما ابن فارس وهما: نظرية الأصول والمقاييس بالنسبة للمواد الثنائية والثلاثية، ونظرية النحت للمواد الرباعية والخماسية الأصول. وأما معجمه المجمل في اللغة فقد وضع لغاية معجمية خالصة تتمثل بترتيب الألفاظ ثم ذكر معانيها مجملة.

كَانَ رَأْساً فِي الأَدب، بَصِيْراً بفقهِ مَالِك، مُنَاظراً مُتَكَلِماً عَلَى طريقَةِ أَهْلِ الحَقّ، وَمَذْهَبُهُ فِي النَّحْوِ عَلَى طريقَةِ الكُوْفِيِّين، جمع إِتْقَانَ العِلْم إِلَى ظَرْفِ أَهْل الكِتَابَةِ وَالشّعر. وكان كريما جوادا لا يبقي شيئا، وربما سئل فوهب ثياب جسمه وفرش بيته. كان الصاحب بن عباد يكرمه ويتتلمذ له "ويقول: "شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف".

مؤلفاته:

ترك ابن فارس للمكتبة العربية مجموعة من التصانيف التي تنمُّ عن عقلية موسوعية،منها: كتاب المجمل، ومتخير الألفاظ، وفقه اللغة، وغريب إعراب القرآن، وتفسير أسماء النبي عليه السلام، ودارات العرب، وحلية الفقهاء، وذخائر الكلمات، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الليل والنهار، وكتاب العمّ والخال، وأصول الفقه، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، والصاحبي صنفه لخزانة الصاحب بن عباد، وجامع التأويل في تفسير القرآن، وخلق الإنسان، ومقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله.

أقوال العلماء فيه:

قال عنه الإمام الذهبي :" الإمام، العلاَّمةُ، اللُّغويُّ، المُحدِّث... كان رأساً في الأَدب، بصيراً بفقه مالك، مُناظراً مُتكَلِماً على طريقة أَهل الحقّ، ومذهبه في النَّحو على طريقة الكوفيّين... جمع إتقانَ العِلم إلى ظَرْفِ أَهل الكتابة والشعر.إذا ذكرت اللغة فهو صاحب مجملها،

لا بل صاحبها المجمّل لها. وعندي أن تضيفه ذلك من أحسن " التّصانيف التّي صنعت في معناها، وأنّ مصنّفها إلى أقصى غايةٍ من الإحسان تناهى".

وقال عنه سعد بن عليّ الزّنجاني: "كان أَبو الحسين مِن أَئمّة اللُّغة، مُحتجّاً به في جميع الجِهات غير مُنازع."

وقال عنه القاضي عياض:

"هو أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي الرازي، أحد رجال خراسان وعلمائها وأئمة أدبائها، غلب عليه علم الفقه ولسان العرب، فشهر به. وكان إماماً في ذلك، وكان أديباً شاعراً مجيداً في ذلك"

وقال عنه الصاحب بن عباد:" شيخنا أبو الحسين بن فارس رُزِق التَّصنيف وأمِنَ مِنَ التصحيف"

منهج ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

رُتِّب معجم مقاييس اللغة على ترتيب حروف الهجاء من حرف الألف إلى الياء، وقد اعتمد في ترتيبه على منهج ابن دريد غير أن منهج ابن فارس يختلف فيما عدا ذلك عن منهج ابن دريد في أنه طرح مبدأ التقاليب ، واتخذ مبدأ الأصول في مواده اللغوية، وقد جعل معجمه في فصول توافق عدد حروف الهجاء .

وسمى كل فصل كتابا: فكتاب الهمزة ثم كتاب الباء ثم كتاب التاء وهكذا فكلمة" بقل" في كتاب الباء، وكلمة "قبل" في كتاب القاف، ثم قسم ابن فارس كتابه كل حرف ثلاثة أبواب، أي على حسب عدد الأبنية، أولها باب الثنائي المضاعف فباب الثلاثي وأخيرا ما زاد على الثلاثي من المجرد ، وهذا تقسيم صغير وبسيط ومحكم، وقد جعل ابن فارس الحرف الأول من اللفظ أساسا من تصنيف ألفاظ معجمه.

فهو لم يرتّب مواد معجمه وتقلباتها بحسب أوائل الحروف كما صنع ابن دريد في الجمهرة، ولم يصنفها بحسب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في الصحاح، وكما فعل ابن منظور والفيروز أبادي في معجميهما، ولم يَنْسُقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في أساس البلاغة، والفيومي في المصباح المنير، ولكنه سلك طريقاً خاصاً به:

1- فقد قسم مواد اللغة أولاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء.

2- ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية

3ـ والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التُزم فيه ترتيبا خاصا، وهو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذي يليه؛ ولذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء ترتيباً طبيعياً على نسق حروف الهجاء،ولكن في (باب الهمزة والتاء وما يثلثهما) يتوقع القارئ أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتى)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر (الباب فجعلها بعد مادة (أتى)

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أولاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الخاء

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما،وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروف في المواد المستعملة هو الجيم.

وتجد ـ أيضاً ـ أن الحرف الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ

بـ (توى) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروف التي تلي الواو هو الياء

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه (المجمل) و (المقاييس) وهو بِدْع كما ترى.

للاطلاع والاستزادة أكثر ينظر:

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة

ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها

السيوطي: المزهر في علوم اللغة

أمين فاخر: دراسات في المعاجم العربية

أمين فاخر:ابن فارس اللغوي

أحمد أبو الفرج:المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث